بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الباب الأول من كتاب الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد

الفصل الأول: الدليل العقلي ومكانته الشرعية.

المبحث الأول:

الدليل ومرادفاته القرآنية في اللغة والاصطلاح وعلاقة الاستدلال بالعلم.

- الدليل ومرادفاته القرآنية في اللغة:

الدليل في اللغة هو: المرشد والهادي، والمصدر منه: دَلالة ودِلالة ؛ قد يسمى الدليل دلالة تسمية للشيء بمصدره.

والاستدلال هو: طلب الدليل، والمدلول هو: مقتضى الدليل ونتيجته.

ورود لفظ الدليل في القرآن: يراد به الأمارة والعلامة، والفعل منه: الهداية والإرشاد.

وأما مايُثبت العقائد لا يُعبَر عنه بلفظ (دليل) إنما يُعبَر عنه بلفظ (البرهان والحجة، والسلطان والبصيرة، والآية والبينة) وكلها تتضمن معنى الدليل وبينها فروق كما يلي:

١- البرهان: الحجة الفاصلة البينة ، وهو خاص بالقطعي من الأدلة "والصدقة برهان"

٢- الحجة: هي البرهان وسمي بذلك لأنها تُحج أي تُقصد؛ لأن القصد لها وإليها.

٣- السلطان: يدل على القهر والقوة، تتسلط على النفس وتقهرها على الخضوع والتسليم. ولم يرد لفظ السلطان في القرآن إلا بمعنى الحجة كقوله تعالى: ﴿إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ﴾ [سورة يونس:٦٨].

٤- البصيرة: الوضوح، وتطلق على البرهان والحجة: ﴿قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ﴾ [سورة الأنعام:١٠٤].

٥- الآية: علامة ، وسميت: آيات الأنبياء أي علامات صدقهم.

٦- البينة: وصف للآية وهي الدلالة الواضحة.

وباستعراض اشتقاق الألفاظ يظهر لنا الحكمة من إيثارها على لفظ الدليل.

- ثانياً: الدليل في الاصطلاح.:" مايلزم العلم به العلم بشيء آخر"

والاســــتدلال هو: النظر في الدليل، ويعرفه الإيجي بتعريف شــــامل للدليل القطعي والظني:" الفكر الذي يطلب به علم أو غلبة ظن".

- علاقة الاستدلال (النظر) بالعلم:

يذكر المتكلمون في مصنفاتهم هل النظر يفيد العلم أم يضاده؟

يجيب ابن تيمية أن النظر نوعان:

١- النظر الطلبي: ينظر في المسألة ليطلب دليلها. وهذا النظر يضاد العلم.

٢-النظر الاســــتدلالي: ينظر في الدليل ليعلم المدلول عليه. مثال ذلك (الخمر حرام (دليل) .. ويعلم: (كل مسكر خمر) يدل على: (كل مسكر حرام). هذا النظر يوجب العلم

ومثال هذا النوعين (نظر العين) فإنه نوعان:

١-التحديق لطلب الرؤية مثل: النظر في المســـألة ليعلم حكمها. قد تحصـــل له رؤية وعلم أو لايحصل.

٢-نفس الرؤية وهي كرؤية الدليل بترتيب مقدماته كحكم المســـكرات وهذا يوجب العلم.

المبحث الثاني: تعريف العقل ومكانته وموقعه من مصادر المعرفة.

أولا: تعريف العقل في اللغة والاصطلاح ودوره في المعرفة والنظر.

تعريفه في اللغة: الحبس والمن، وسمي عقل الإنسان لأنه يحبسه ويمنعه التورط في الهلكة. وكذلك سمي : حجرا، وملجأ.

ولم ترد مادة العقل في القرآن إلا بصـيغة الفعل: "عقلوه ، يعقلون" وورد لفظ الألباب: ويعني خالص الشــــيء ونقاوته. وسمي بذلك العقل لأنه خلص من الهوى والوهم. كما يقول الزبيدي. وجاء لفظ (الأحلام) العقول.

التعريف الاصطلاحي:

١-الغريزة المدركة   ٢- المعارف الفطرية والعلوم الضرورية.

٣- المعارف النظرية ومايستفاد من التجارب الحسية

٤- العمل بمقتضـــى العلم ويســـمى: (معرفة وبصـــيرة) وهو عقل التأييد الذي يكون مع الإيمان؛وتفاوت العقلاء في هذا المعنى معلوم بالضرورة.

ولهذا يرد ابن تيمية على المتكلمين في قولهم (العقل جوهر قائم بنفســـه) : يقول العقل عند المسلمين وجمهور العقلاء (عرض) أي صفة يقول الله "لعلكم تعقلون".

- **دور العقل في المعرفة والنظر:**

انكر بعض الناس أن يكون العقل من أسـباب المعارف؛ محتجين أن أحكامه متناقضـة وهذا تعنت ومكابرة فالإنسان إن أراد أن يشكك نفسه في العلوم الضرورية مثل (الكل أكبر من الجزء) لم يســتطع أن يشــك في هذا، ومن ينكر ضـــروريات العقل كالمنكر للمحسوسات.

والصـــحيح أن قضـــايا العقل لا تتناقض وإنما ســـبب التناقض التقصـــير في النظر والاستدلال ودخول الوهم والهوى.

شروط صحة النظر العقلي:

١- أن يكون كامل الآلة: يعرف كيف يرتب الأدلة بعضها على بعض.

٢- أن يكون النظر في الدليل وليس في الشبهة.

٣- أن يستوفي الدليل بشروطه فيقدم ويعتبر مايجب تقديمه واعتباره.

- **مكانة العقل كمصدر للمعرفة والعلم الإلهي.**

العقل بكل معانيه في مقام المدح، والذم يتجه لنقص العقل وليس لذات العقل

ودلّ على مكانة العقل في القران والسنة عدة أمور:

١- وردت مادة العقل في القرآن (٥٩) مرة تفيد جميعها انتفاء المذمة عنه.

٢- لا تكاد تخلو سورة من القرآن من ذكر اعمال العقل (الاعتبار، النظر، الفقه، العلم ....الخ. ووصف اصحابها بالمدح.

٣- تحريم ما يعطل العقل ويضعفه كالخمر، أو يحول بينه وأدائه كاتباع الهوى والتعصب والتقليد، وحرم ماينافيه من الأوهام الباطلة والتشاؤم والسحر .. الخ.

٤- وصـــانه من التطاول فيما لايســـعه ادراكه؛ كالنهي عن تتبع المتشـــابه، وفي الســـنة النهي عن التفكير في ذات الله.

واعداء الإسلام يشوهون صورته أنه يحجر على العقل ويضيق عليه !!!

إذن ماهو موقع العقل ومكانة العقل بين مصادر الأدلة الشرعية؟

العقل يدرك الأشياء بشكل مجمل ويعلم بعض تفاصيلها من طريق السمع أو الحواس.

ولو كان العقل محيط بكل التفاصيل لاستوى علم المخلوقات بعلم الخالق واستغنوا عن الوحي وهذا معلوم البطلان بالضرورة.

إذن موقع العقل من مصادر الأدلة الشرعية يظهر من خلال تقسيم العلوم من حيث إدراك العقل لها إلى ثلاثة أقسام:

الأول: العلوم الضرورية الفطرية وهذه لايمكن التشكيك فيها.

الثاني: العلوم النظرية المكتسبة بالنظر والاستدلال، يستند في معرفتها على القسم الأول (العلوم الضرورية)، وهي نوعان:

١- العمل فيه للعقل وحده: كالعلوم الطبيعية والرياضية والصناعة، وطريقة أهل الكلام البدعية في النظر للعقائد.

٢- يشترك فيه العقل مع أدلة الشرع بالنظر فيها واستخراج ماتتضمنه الأدلة من مسائل ودلائل وهذه الطريقة المنهج الشرعي في النظر للعقائد.

الثالث: العلوم الغيبية: وهذه لايعلمها العقل إلا بتعليم وحظ العقل منها الفهم والتسليم فيثبت امكانها وينفي امتناعها.

وفي ضوء هذا االتصنيف: يتضح موقع العقل بين مصادر الأدلة الشرعية للاعتقاد

(فمنزلة العقل من النقل كمنزلة الخادم من سيده) وقيل : العقل متولّ ولى الرسول ثم عزل نفسه؛ وتعني هذه العبارة أن العقل حينما صدّق الرسول وجب عليه اتباع امره، وليس معنى عزل نفسه عن العمل بالكلية إنما عزل نفسه عن التسلط على الشرع .... وهناك أمثلة أخرى في الكتاب ص٤٢-٤٣.

إذن علاقة العقل بالشرع الاتباع، والله تعالى لا يعرف بالعقل ولا بدون العقل أي:

أن الله يعرّف العبد نفسه مع وجود العقل؛ لأنه سبب الإدراك والتمييز، لا مع عدمه:

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)

الفصل بين أهل السنة والمبتدعة مسألة العقل:

فهم أسسوا دينهم على المعقول، وجعلوا المأثور والاتباع تبعا للعقل.

وأما أهل السنة: الأصل في الدين الاتباع، والمعقول تبع.

ولو كان أساس الدين العقل لا ستغني الخلق عن الوحي والأنبياء وبطل الأمر والنهي.

- **المبحث الثالث: تقسيم العقائد ودلائلها إلى سمعيات وعقليات/ وأقسام الناس بالنسبة إلى ذلك.**

يقسم المتكلمون الأدلة إلى قسمين: عقلي، وسمعي والسمعي له عدة ألفاظ (نقلي، شرعي)

ويتفقون على: أنه لايوجد دليل نقلي محض لأن النقل لا يعرف صدقه إلا بالعقل.

وأما الدليل العقلي هو الذي تكون جميع مقدماته عقلية.

وهنا عدة مآخذ على المتكلمين:

-عدم تفريقهم بين وصف الدليل بأنه سمعي ووصفه بـ: شرعي وعقلي وجعلوها من قبيل المترادفات.

-المأخذ الأعظم جعلوا أصول الدين نوعين: عقليات وسمعيات، ثم حصروا النقليات في جانب السمعيات. ومنعوا أن تكون العقليات معلومة من النقل لأنه يستلزم الدور كمثل دليل ثبوت الصانع والنبوة يلزم اثباته دليل عقلي وليس النقل.

وهذا خاص عندهم بالعقليات التي يتوقف عليها صحة النقل كثبوت الصانع والنبوة.

اما العقليات التي لا يتوقف عليها صحة النقل كحدوث العا لم فيجوز اثباتها بالسمع.

..

سبب حصر المتكلمين لدلائل الكتاب والسنة بالسمعيات؛ لأنهم ظنوا أنها تتوقف دلالتها على العلم بصدق المخبر بها، وغفلوا أن الكتاب والسنة كما جاءت بالدلائل السمعية كذلك جاءت بالدلائل العقلية اليقينية على سائر الأصول الاعتقادية الشرعية.

*فالمتكلمون أهملوا دلائل الكتاب والسنة التي تجمع بين وصف النقل والعقل. وإن وجد في كلامهم استشهاد ببعض الآيات المتضمنة للدلائل العقلية فهم يفعلونها على سبيل الاعتضاد وليس الاستغناء والاعتماد.

وطريقتهم: يبتدعون أدلة من عند أنفسهم ثم يبحثون في الأدلة النقلية مايحتمل للدلالة على بدعتهم، والغالب يتعسفون في فهم النصوص ويشطحون في تفسيرها لتوافق ما ابتدعوا.

*__تقسيم أصول الاعتقاد إلى__ سمعيات طريق العلم بها السمع كالعلم بالجنة والنار وتفصيل الأسماء والصفات صحيح. لكن الخلاف ماهي الأصول العقلية التي تعلم بالعقل؟ منهج أهل السنة : الاكتفاء بالكتاب والسنة في بيان أمور الدين أصول وفروع ومسائل ودلائل، ولا ينكرون علم العقل بها اجمالا مع كونها معلومة بالسمع.

والدليل على الاكتفاء بالكتاب والسنة:" اليوم أكملت لكم دينكم .."

من أمثلة الأدلة العقلية النقلية: صفة العلو لله سبحانه ثابت من حيث دلالة العقل لصفة كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه. وتوافر أدلة السمع عليها أيضا.

والخلاف مع المتكلمين ليس في طريق التمييز بين العقليات والسمعيات في الأصول والمسائل الاعتقادية الثابتة بالنقل انما في تحديد هذه الأصول وهل ينحصر مأخذها في النقل وحده؟ نجد أنهم ابتدعوا مسائل وأصول ثم ابتدعوا لها دلائل يلزم الأخذ بها رد كثير مما ثبت بالنقل.

مثال ذلك:(اعتقاد حدوث العالم استدلوا من طريق دليل الجواهر والأعراض) فنفوا الصفات مع أنها ثابتة بالنقل.

عقليات أهل السنة: الأصول الشرعية الثابتة بالكتاب والسنة.

عقليات أهل الكلام: ما ابتدعوه وقرروه دون الرجوع للكتاب والسنة.

إذن الدليل الشرعي لا يقابل بالعقلي، وإنما يقابل بالبدعي ثم الدليل الشرعي قد يكون سمعي وقد يكون عقلي .

وصف الدليل أنه شرعي يراد به أحد أمرين:

الأول: الشرع أثبته ودلّ عليه، وهو على قسمين:

١-معلوم بالعقل ودلّ عليه الشرع فيكون شرعي عقلي؛ كالأمثال المضروبة في القرآن.

٢-ما لايعلم إلا بخبر صادق فيكون شرعي سمعي؛ كالاستواء على العرش وهذا القسم الذ ظن أهل الكلام الأدلة الشرعية منحصرة فيه.

الثاني: أن يكون الشرع أباحه وأذن فيه، وضابط هذا: ألا يتصف الدليل بوصف يقتضي تحريمه شرعا، كوضع مقدمة باطلة فيكون كاذبا، والكذب محرم .

فكل دليل عقلي ليس فيه لوازم باطلة تعارض النقل هو دليل شرعي بهذا المعنى؛ أي غير ممنوع شرعا.

ووصف الدليل بأنه نقلي أو سمعي:يتناول نصوص الكتاب والسنة ويشمل العقلي وغيره.

أما وصف الدليل أنه عقلي: لايقتضي ذم و مدح ولا صحة ولا فساد ويحتمل أن يكون عقلي شرعي ويحتمل أن يكون بدعة.

سبب جهل المتكلمة بالعلوم الشرعية ودلائلها: بنى جهلهم على مقدمتين:

الأولى: العلوم الشرعية هي ما نص عليها الشرع بأعيانها فقط.

الثانية: مايستفاد بخبر الشارع هو فرع للعقليات .

وكلتا المقدمتين باطلة ووجه بطلانها:

فالعلوم الشرعية تشمل مانص عليه الشرع، وما ابيح علمه والاستدلال به.

وأما بطلان المقدمة الثانية (الشرعيات فرع للعقليات) إن اريد به العقليات الشرعية التي ينبي عليها صدق الرسول كإثبات الصانع وتأييده رسله بالآيات فهو حق، ولكن اذا كانت عقليات غير شرعية تجعل صحة الشرع متوقفة عليها فهذا موضع البطلان.

متى يجتمع في العلم أن يكون عقلي وهو شرعي؟

باعتبارات ثلاثة: ١-اخباره به ٢-أمره به ٣- دلالته عليه.

وفي آخر الفصل ورد كلام أبو المعين النسفي في أنواع العلوم وأقسام الناس.......

أنواع العلوم التي جاء بها الرسل: نوع تدركه العقول ، نوع لا تدركه العقول.

ماهي أقسام الناس بالنسبة إلى أنواع الأدلة؟

أهل العقول الراجحة ، ومن ليسوا كذلك.

وأهل العقول الراجحة صنفان: متفرغون للنظر، مشغولون باكتساب المعيشة.

ورحمة الله بإرسال الرسل وانزال الكتب...

تكون فيما لاتدركه العقول: فالمرحمة عامة لجميع أصناف الناس.

وأما ماتدركه العقول: فالمرحمة في حق أهل العقول الراجحة الذين تفرغوا للنظر بتسهيله وتنبيههم إلى كيفية الاستدلال.

وأما في أهل العقول المشغولين أو أهل البلادة: فالمرحمة لهم بالمجزات الثابتة بالتواتر، فهذا تخفيف عنهم.

وكلام ابو المعين هذا رد على من يوجب النظر والاستدلال العقلي لعامة الناس ليحصل له الايمان الصحيح.

والمآخذ عليه: أنه رفع منزلة الأدلة العقلية على غيرها من أنواع الأدلة الشرعية.

قلل من شأن المعجزات حيث جعل المرحمة بها من شأن أهل البلادة ، والصحيح: إن كانت دليلا صحيحا فهي مرحمة للجميع. وإن لم تكن كذلك فأي مرحمة فيها؟